الطيور في شعر الجزيرى

تيلي امين

يحتل الملا احمد الجزيري، الذي عاش في اواخر القرن السادس عشر وبدايه السابع عشر الميلادي، موقع الصدارة في ميدان الشعر الكردي الصوفي. والجزيري الذي ارسى في حينه، قواعد مدرسة شعرية كردية، عرفت باسمه[1]، يعتبر من كبار شعراء الشرق الاسلامي. وديوانه نموذج رائع للشعر الصوفي الاسلامي باللغة الكردية.

ونستطيع القول وبثقة اكيدة، إن قصائد هذا الشاعر المجيد، تناظر قصائد فطاحل الشعراء المتصوفة من العرب والفرس والترك. وانها، اي قصائد الجزيري، لاتقل شأنا – ان لم تزد – عن اشعار ابن عربي وابن الفارض وسعدي وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي. سواءا من حيث اتباع المنهج الكامل في اتباع القواعد والاصول الصوفية، وسلوك الطريقة حتى بلوغ مراتبها العليا، او من حيث القيمة الجمالية للقصائد من الناحية الفنية.

وبهذا الصدد يقول الكاتب الكردي الاستاذ أمين شيخ علاء الدين النقشبندي «هل من مادة ضرورية لتشييد ديوان الشعر الكردي الكلاسيكي، لم يستخدمها الملا في بناء هذا الديوان الكبير»[2]. والاستاذ الكاتب، يبدي استغرابه من عدم تعميد الجزيري رائدا للشعر الكردي الكلاسيكي، اضافة لكونه حامل بيرق الشعر الصوفي الكردي.

ويقول عنه كاتب كردي اخر «ان ملانا – يقصد الجزيري – لايباريه في ميدان التصوف، حتى الملا الجامي ومولانا الرومي»[3]. موضوعنا هذا، لايستوجب التطرق باكثر من هذا التفصيل، الى مكانة الجزيري ومنزلته الرفيعة. انما نخصص هذه الصفحات لدراسة بعض الجوانب لبعض ابيات الشاعر وقصائده، وتلك التي تناول فيها بالذكر والوصف والتصوير مجموعة من الطيور.

وستكون دراستنا عن هذه الاشعار في جانب غير صوفي. غير صوفي لاننا لانبحث في اشعار الجزيري عن مدلولات التصوف واصطلاحاتها – بما يوجب وينبغي – لكون الامر غير متيسر لنا. ورغم ذلك لاينبغي للدارس او الناظر لاشعار الجزيري الا ان يركن نحو زاوية التصوف، لذا سنحاول ايراد تلميحات واشارات على قدر معرفتنا بهذا الميدان الشائك علينا. وفي الاساس سنرى الجزيري كيف تحدث عن الطيور، ورسم عنها صورا في شعره واقتبس استعارات منها، واورد لها تشبيهات معينة.

فقد حظيت الطيور باهتمام الشعراء المتصوفة. وفي تراث الشعوب الشرقية، اساطير وحكايات كثيرة عن الطيور، وعلى لسانها، اي لسان الطيور.

فقد افرد الفيلسوف الهندي – بيدبا – فصولا عديدة من كتابه الشهير، كليلة ودمنة، لحكايات الطيور والحيوان.

وللشاعر فريد الدين العطار منظومة شعرية مشهورة باسم، منطق الطير، وللامام الغزالي رسالة الطير، ولابن حزم طوق الحمامة، وغيرها كثير. وفي تراث الشعب الكردي وفولكلوره الثري والضخم، حكايات واساطير وافية عن الكثير من الطيور، والى حد لانبتعد فيه عن الحقيقة، ان قلنا، ان لكل طير قصته. والصوفية في استخدامهم للطيور، وتوظيفها في شعرهم، انما يتخذون منها رموزا في اغلب الاحيان، اي انهم ينظرون اليها من منظور رمزي. وهم ووفق هذا المنظور يرون في الطيور، اول مايرون فيها اصواتها، فهذه الاصوات الشجية تبعث في خلائج انفسهم صورا من التجلي الالهي. ذلك لانهم، كلما رأوا وجها حسنا او سمعوا صوتا شجيا أو شموا رائحة عطرة، وجدوا فيها تجليات المحبوب.

وشاعرنا الجزيري، اولى اهتماما كبيرا في شعره بالطيور، واتخذها رموزا صوفية، وهو بذلك «يستخدم مثيرات الحواس رموزا روحية شاهدة على المثل الاعلى والشوق المضني للوصول الى ذلك المثل»[٤].

في ديوان الشاعر الجزيري، ترد اسماء لاكثر من عشرة اصناف من الطيور، وفي ابيات عديدة.

من هذه الطيور، البلابل والهدهد والورقاء والعنقاء والغراب، والعقاب والباز والشاهين والسنقر والطاووس والحجل والطيهوج وغيرها.

اما الطيور الروحية الاربعة عند المتصوفة وعند الشيخ الاكبر ابن عربي بشكل خاص ونعني بها، العقاب والغراب والعنقاء والورقاء، فقد تناولها الجزيري في شعره وافرد لها عددا من الابيات في قصائد متفرقة.

وبدأ نقول، ان ابن عربي حين يرمز عن طريق هذه الطيور الاربعة، الى اربعة مراتب وجودية، ويقارن بين كل طير ومرتبة وجودية معينة بقوله «اين انت والغريبة العنقاء، اين انت والمطوقة الورقاء، اين انت والغراب الحالك، اين انت والعقاب الحالك..»[٥].

وحين يرمز بالعقاب الى العقل الاول او القلم الاعلى او الحقيقة المحمدية. وبالغراب الى السواد والغربة. اي غربة جزء من الجسم الى الجسم الكل.

وبالعنقاء الى الهباء او العبث.

وبالورقاء الى المرتبة الوجودية الثانية، مثل حواء في مقابلة ادم.[٦]

نقول ان الشيخ احمد الجزيري، قد يدنو احيانا في بعض اشعاره من هذه الرموز، ويقصدها تماما مثل ابن عربي، لكنه في احيان اخرى، لايقصد بهذه الرموز المعاني التي وضعها لها الشيخ الامير ابن عربي.

ولنَرَ الان، كيف يتناول الجزيري هذه الطيور الاربعة التي سماها ابن عربي الطيور الروحية.[٧]

اولى هذه الطيور، العنقاء، وهو طائر خرافي ضخم يسمى بـ (سيمرخ) في اللغة الكردية. وسيمرغ في الفارسية تعني ثلاثين طيرا.

تعيش العنقاء حسب الاعتقاد الشعبي الكردي في جبال القاف، والتي تعتبر هي الاخرى كذلك جبالا وهمية لاوجود لها على الخارطة الجغرافية.

وطائر العنقاء – السيمرخ – يرد بكثرة في الحكايات والاساطير الكردية، وله مكانة مميزة في التراث الشعبي الكردي وفولكلوره. ويرمز دائما الى الخير الهابط من الاعالي وهو في غالب امره، يظهر بصورة مفاجئة لنجدة ابطال الحكايات الشعبية حين وقوعهم في حصار او ضيق. فيحملهم على اجنحته ويطير بهم فوق الجبال والبحار الى مناطق امنة. وقد يكون دليلا للمحبين والعشاق، يطير بهم الى حيث يوجد المحبون والسيمرخ طائر نجيب، لايضمر سوءا لاحد، ولايكون الا بجانب الضعفاء والمظلومين وقد يقاتل العفاريت باجنحته انتصارا لهؤلاء الضعفاء. وقد أحب الامراء البهدينانيون هذا الطائر، لصفاته الحميدة وحرصه على نصرة المظلوم، فجعلوه شعار امارتهم، للادلال بواسطته على محبة الحاكم وحرصه على امور الرعية. ولازال رسم هذا الطائر محفورا على باب قصر الامارة في العمادية الى يومنا هذا[٨].

وقد أورد المتصوفة اسم هذا الطائر بكثرة في اشعارهم. يتحدث الملا الجزيري عن العنقاء فيقول:–

عەنقا نە شكارا كەسە دافان تو.ب.چين فە
دافا كو ل عەنقا تو فەدى بادى هەوا گرت[٩].

ومعناه: ليست العنقاء صيدا لاحد
حتى تنصب شراكك،
ان الشراك التي تنصّب لصيد العنقاء
لاتصيد غير العبث

ويقصد الجزيري «ما من احد يستطيع ان يصيد بشراكه العنقاء، فهي لاتقع في شرك او مصيدة، وان ما تنصبه لها من مصائد، لاتصيد غير اللاشيء».

الجزيري، اذن يشير في هذا البيت الى المعنى الاصطلاحي والرمزي لطائر العنقاء عند الصوفية. فهو يقترب من الرمز الذي اختاره ابن عربي. وذلك بتشبيهه العنقاء بالحبيب البعيد المنال، وبالاصح المستحيل المنال. او الى الهباء. حيث مهما حاول الصوفي المريد او السالك من نيل الحرام، والحصول على وصال الحبيب والالتقاء بانعامه، فهو في عبث من جدواه، ولايمكن له نيل هذا الفوز العظيم.

فكما ان المصائد والاشراك لاتتمكن من اصطياد العنقاء، كذلك يذهب سعي وجهد السالك عبثا، في محاولته الوصال. فهو لن يدركها، ويبقى الحبيب في منأى من شراكه.

نرى الجزيري في هذا البيت، يرمز بالعنقاء الى المعنى الذي اورده ابن عربي لهذا الرمز، اي الهباء والعبث.

ومن المفيد ان نذكر هنا، ان حافظ الشيرازي، كان قد اورد بيتا، قريبا من المعنى الذي ذهب اليه الجزيري. حيث يقول حافظ:

برو اين دام بر مرغى دگرنه
كه عنقارا بلندست اشيانه.

اذهب، وانصب هذا الشرك لطائر اخر
حيث عش العنقاء يقع في الاعالي.

ومن هذا البيت يمكن القول، ان حافظ، يقصد ايضا، وبالاصح كان قد قصد، ان صيد العنقاء غير ممكن، وان الشراك التي تنصب لها، لاجدوى منها.

في قصيدة أخرى، يتناول الجزيري طائر العنقاء. فيقول:

مەحبوب ددل بت مه بـ‌ئەڤرازى چ حاجەت
عەنقا بـ‌خوه بێتن فرو، بەروازى چ حاجەت[11].

«ان كان الحبيب في القلب، فما حاجتنا الى الاعالي.
ان هبطت العنقاء من تلقاء نفسها فما الحاجة الى الطيران.

والشاعر يعني، ان الحبيب قد استقر من ذاته في القلب، فما الحاجة للبحث عنه في الاعالي والسعي وراء وصاله بعيدا، مادام هو من نفسه قد جاء ليضمه القلب العاشق.

واذا كانت العنقاء قد هبطت، هي بمحض اختيارها، فما الحاجة للطيران وراءها ومحاولة صيدها، مادامت قد وقعت هي في الصيد.

اذا كان الجزيري، قد اتخذ من العنقاء رمزها الصوفي المتعارف عليه في البيت الاول. فهو هنا في هذا البيت، وعلى مانعتقد، قد استلهم الرمز من التراث الكردي، فحين يهرع طائر العنقاء – السيمرغ – للمساعدة والنجدة، لاحاجة للبحث عنه أو تقصي اخباره وطلب العون منه، اي ان الشاعر اتخذ الطائر بمعنى الخير المتعارف عليه عند الكرد.

أما العقاب، وهو طائر روحي اخر عند ابن عربي، وكما رأينا يتخذه رمزا للمرتبة الوجودية الاولى. او العقل الاول.

والعقاب، طائر ضخم من طيور الصيد، حاد الرؤية، يطير في الاعالي، له اجنحة طويلة ومنقار مقوس ومخالب قوية. تصل فاصلة اجنحة بعض انواعه عند الطيران حوالي المترين. يعيش الى حد مائة عام[12].

ويعتبر العقاب «من الكواسر ومن اعظم الجوارح، ولاتقع على الجيف الا اذا عضها الجوع»[13].

تناول الجزيري، العقاب في اشعاره، كمثال على الطائر الجارح الكاسر والقوي والمهيمن على الطيور الاخرى. واورد في اشعاره عددا اخر من الطيور التي تشبه العقاب في بعض صفاتها. وذلك مثل الباز والشاهين والصقور. ولم يتوضح لنا بشكل اكيد، ان كان الجزيري قد اتخذ هذا الطائر رمزا صوفيا، ام اتخذه رمزا للقوة واخضاع الغير والسيطرة عليه.

والابيات التي نستشهد بها، قد تساعد الباحث في الشعر الصوفي الكردي، لاماطة اللثام عن هذه الناحية.

يقول الجزيري في قصيدة له متحدثا عن العقاب.

جنو (طيارەك)مه دى وەربو دمن ونداكرم
دامه بەر پەنجەو كولابان هلفراندم وەك عقاب
سوفلەوى لينامو نافێهتم زەمينا زولەتى
لى كو هشيارم گەلو، يان خەونه من ديتى بـ‌خواب[14].

لقد رأيت عفريتا طيارا
التف حولي، واغابني باحاطته
وانشب مخالبه في جسدي
وطار بي مثل العقاب.
مضى بي الى العالم السفلى
رماني في ارض الظلمات،
فيا ايها الناس
هل انا في صحو من امري.
ام ارى حلما في المنام؟

وفي مكان اخر يقول الشاعر:

ئەو دلێ من وەك كەبوتەر نابتن كەس لومەكەت
ئەو دلێ تورێ وەدا كەفتى مه دين سەد شاهباز[15].

ان قلبي الذي،
يشبه الحمامة.
ليس لاحد ان يلومه.
لاني قد رأيت
مائة باز ابيض[16].
قد وقعوا في هذا الشرك.

يشبه الشاعر قلبه الضعيف، هنا بالحمامة، ويرى ان لا حق في لومه على محبته وهيامه وعجزه عن المقاومة في مواجهة الحبيب. ذلك لان هناك قلوبا اكثر جبروتا من قلبه العاجز وقد داهمها الحب، فأصبحت اسيرة الهوى، ناحبة وباكية تنشد لقاء الحبيب. هذه القلوب التي يشبهها الجزيري بطيور الباز الابيض المشهورة بقوتها وكونها تصيد ولاتصاد. والقول ممكن، بأن الشاعر يشير بالحمامة الورقاء الى مرتبة الوجود الثانية في مقابل الباز الذي يشبه العقاب في بعض صفاته. والعقاب اشارة الى المرتبة الاولى. وبالاستناد الى ماتقدم، يصح القول ان الشاعر يقول:

ليس من العدل ولا من المنطق ان يلام على وقوعه في الحب والاسر. فالحب سلطان لاسلطان عليه.

ليس من العدل ان يلام، لان هناك الكثير من الانبياء والرسل وهم يشاركونه في الانين من اسر سلطان الحب.

في قصيدة اخرى يورد الشاعر ايضا، مثالا لطائر ضعيف شبيه بالحمامة وهو طائر الحجل، حين يقع فريسة لطائر اقوى وهو الشاهين[١٧].

فالحمامة التي هي بمرتبة حواء في مقابل العقاب الذي يرمز لادم في لغة الصوفية، لاتستطيع ان تنال بغيتها من الهوى ولاتظفر بالمحبة والوصال، حال المنافسة.

وكما ان الحمامة لاتستطيع ان تناحر العقاب، والحواء لايمكن لها منافسة ادم. فكذلك الصوفي – السالك او المريد – لاأمل له في نيل الفوز والفرح بالوصال، اذ جادله في المحبة، الاقطاب والشيوخ.

هذا مانعتقد ان الجزيري يقصده من البيت الذي يقول:

ئەو كەبکێ خەرامان کو دکوزی بقەبو هات
شاهینی قەضایێ بتەغافول ژخوەرا گرت[١٨].

ان ذلك الحجل المتبختر
الذي كان ينشد الحانه بفرح
اصطاده شاهين القضاء.
على حين غفله

فالحجل الذي كان يتبختر مفتخرا بصوته وانشاده العذب، ويأمل من غنائه وطربه ومناجاته دعوة الحبيب اليه للظفر به والتنعم بوصاله، اذ هو يأمل كل ذلك وينظر لنفسه بعين العجب والفخر، ظهر في الافق طائر الشاهين كالقضاء، واصطاده لنفسه فحرمه من الوصال. قلنا، اننا نعتقد ان الجزيري قصد من البيت اعلاه، المعنى الذي اوردناه فيما سبق.

ولكن وبالرجوع الى أبيات الشاعر الصوفي حافظ الشيرازي الذي سبق عصر الجزيري، والذي يقول فيها:

راستی خاتم فیروزه بواسحاق
خوش درخشید ولی دولت مستعجل بود
دیدی ان قهقهه کبك خرامان حافظ
که زسر پنجه شاهین قضا غافل بود[١٩].

أي:
حقا، ان خاتم «فيروز بو اسحاق»[٢٠]،
قد تلألأ جيدا،
لكن الحظ كان مسرعا.
هل رأيت ياحافظ
كيف كان الحجل المتبختر
ناشدا الحانه بقوه
وهو غافل عن..
رأس مخالب شاهين القضاء؟

بالرجوع الى هذا النص الشعري، لحافظ، يمكن القول ان الجزيري، انما يقصد من شعره مقصد حافظ. فهو يورد مثالا، لحالة شخصية، يكون فيها المرء غائبا عن نفسه، اذ يعالجه القضاء والقدر بأمر هو غافل عنه.

وقريبا من معنى بيتي حافظ، يقول الجزيري في مكان اخر من ديوانه:

من خون بجۆ تێتن ژدل
ئەو بازیێ بێ تورو سل
داکەفته نیف تورا قزل
قومری نەهشتن رەف برەف[٢١].

«ان الدماء تسيل من القلب كالسواقي
وذاك الباز الغاضب المتزعج،
قد انقض على الشبكة الحمراء
اصطاد منها الحمائم اسرابا اسرابا.

في شرح هذه الابيات، لو اعتبرنا ان الشاعر يستخدم العقاب والباز ليرمز بهما الى معنى واحد. فأن الشبكة الحمراء قد تكون الموت الاحمر الذي يصفه ابن عربي «... والموت الاحمر مخالفة النفس، شبيه بحمرة الدم، فأن من خالف هواه، فقد ذبح نفسه».

اما الحمائم فهي المرتبة التالية لمرتبة الانسان الكامل.

وبذلك تعني الابيات: ان مجموعات الحمائم التي وقعت في شرك المحبة، وحبذت الوصال والمنال، لم تستطع نيل مرامها، لانقضاض الباز عليها، وهي داخل شرك احمر لونه من كثرة ماتنزف عليه من دماء قانية. وهذا الباز المتزعج والذي لاتستطيع الشرك ان تقيد خطواته، ضجر من المجموعات الضعيفة للحمائم. فقضى عليها سربا فسربا.

فهل يعني الشاعر بهذا الابيات: ان مجموعات السالكين قد ماتت ميتة حمراء لمخالفتهم انفسهم، بمخالفة هواهم.

وان القطب الذي ضجر من هذه المجموعة التي لم تستطع سلوك الطريقة، قد طردهم جميعا؟

يمضي الجزيري في قصيدته فيقول:

رەف رەف نەشتن زاغ زاغ
دانين ل دل من داغ داغ
دێ كى بەينت ساغ ساغ
وەستانە لەشكر صەف بصەف.

وتعني:
سربا فسربا هبطت الاغربة
فأشعل قلبي حرقة ولوعة.
من يقدر على الحياة
والجيوش واقفة متراصة، صفا الى صف؟
هذه ترجمة الابيات بنصها الصحيح على مانعتقد.

وقد تصدى لشرح الابيات هذه، لحد الان كل من المرحوم الزفنگي والاستاذ هەژار. ولا ارى صحة ماذهب اليه كلاهما. حيث ان الزفنگي يترجم الأبيات بما يلي «ان الاغربة السوداء لم تترك واحدة من القماري سربا سربا، وقد احرقت القلب، بوضع كيات متعددة عليه. فمن يبقى حيا حيا من العشاق وقد وقفت جيوش الاغارة صفا صفا»[٢٣].

ونرى ان هذه الترجمة ركيكة لامعنى لها، فليس في اصل الابيات مايفيد على اغارة الاغربة على القماري. ولاذكر للقماري في هذين البيتين. ثم ان شاعرية الجزيري لاتقبل مثل هذا التفسير. فما معنى ان تغير الاغربة على القماري بعد ان وضحت الابيات السابقة ان طائر الباز قد اقتنص اسرابها جملة وتفصيلا.

أما الاستاذ هەژار فيذهب في شرحه الى معنى قريب من المعنى الذي اورده الزفنگي، فيقول ان الباز بعد ان انقض على الحمائم، جاء دور الاغربة ليقتنص منها اسرابها جميعا[٢٤].

باعتقادنا ان الابيات تعني شيئا اخر. فحين يتألم الجزيري، ويرى ان الباز قد افترس اسراب الحمائم الضعيفة من الشرك الاحمر. وان قلبه اصبح يسيل دما من الالم لحال هذه الحمائم، يريد ان يقول، ان الغربة والسواد قد هبط عليه وعلى حياته بموت الحمائم واصطيادها من قبل الباز. ومن ثم هبوط اسراب الغراب الاسود عوضا عنها وتشكيلها لجيش اغارة احرقت قلبه وهددته بعدم القدرة على الحياة.

فهو يشكو هذا الظلام والسواد والبعد. ونعتقد ان ما أوقع كلا الاستاذين الفاضلين في هذا الخطأ في التفسير هو عدم تمييزهما بين كلمة «نەهشت» والتي تعني لم تترك وكلمة «نەشت» والتي تعني الهبوط والاستقرار. ويجدر الاشارة الى ان عدم التميز بين الكلمتين المذكورتين، قد اوقع الزفنگي في خطأ آخر في ترجمته لبيت اخر للشاعر يتحدث عن الطيور ايضا.

حيث يقول الشاعر:

ئەز دبێم ئاخر زەمانە دێ قيامەت رابتن
لەو شەفا تارى كشاندو نەشت ئەسود غوراب.

ويعني:
اني لاظن انه اخر الزمان
وان الساعة ستقوم،
لان الليل الحالك قد طال
وهبط الغراب الاسود.

هذا البيت يؤكد ان الجزيري وجريا على ماتعارف عليه بعض الشعراء الصوفية، يورد الغراب للاشارة الى الغربة والسواد والظلام والبعد والفراق.

في حين ان المرحوم الزفنگي يورد مايلي في ترجمته للبيت «اعلاه»:

«انني اظن ان الوقت هو اخر الزمان وستقوم الساعة فلذلك طالت ليلتنا المظلمة واشتد سوادها حتى لم تترك شيئا من السواد للغراب»[٢٦].

واضح انه من غير الممكن مقارنة الاصل بمايشبهه. فالمعروف ان الليل مظلم وسواده يطغي. فليس من شاعرية الجزيري، ان يبالغ فيما هو الاصل على مايشبهه.

كما ان الشعراء لم يتعودوا مطلقا استعارة الاصل للتدليل على الفرع. فلا شاعرية في القول مثلا، ان وجه البدر كان مضيئا ورائقا لحد طغى على وجه المحبوب. ولاشاعرية في القول وكمثل ايضا، ان سهام الجند في اختراقها للقلب، كانت اقوى من سهام عيون الحبيبة. ويجب ان نذكر ان الاستاذ هەژار قد انتبه الى المعنى الصحيح لكلمة «نەشت» في شرحه لهذا البيت الاخير، فأورد تفسيرا صحيحا له[٢٧].

وبذلك وحسب اعتقادنا ان الترجمة او المعنى الذي ذهب اليه الجزيري في الابيات الاربعة يكون بالشكل الاتي:

«ان الدماء تجري من قلبي سيلا كالسواقي والجداول، ذلك لان طائر الباز الضاجر والذي لايقع في فخ او شرك قد انقض على الشبكة الحمراء واصطاد منها الحمائم التي وقعت في خيوطها، سربا وراء سرب.

وبذلك حطت الاغربة السوداء باسرابها، وجعلت قلبي يتألم ويحترق من الغربة. فكيف يستطيع المرء ان يبقى على قيد الحياة وجيوش الاغارة واقفة قبالته صفا فصفا».

واذا اردنا ان نركن الى المصطلحات الصوفية ورموزهم، يصبح شرح الابيات وباختصار على الشكل الاتي:

«ان قلبي في حرقة وألم لما اصبح عليه حالنا، نحن السالكين. فقد خالف الاتباع الطريقة، ولذلك عالجهم الشيخ أو القطب بطرد مجموعاتهم. فعاشوا في غربة وبعد وهم يعانون الفراق. وقد اصبح قلبي جمرة نار لما الت اليه حالهم، فمن منهم يتمكن من الحياة في ظلام وغربة».

بهذا القدر ننهي الحديث عن رموز الطيور الاربعة في شعر الجزيري. وننقل الحديث

الى البحث عن طيور أخرى، تناولها الشاعر في قصائده.

ونبدأ بطائر الهدهد. فقد نال الهدهد اعجاب الشاعر اكثر من اي طائر اخر، وهو – اي الشاعر – لايدع فرصة الا لذكر الهدهد والاستغاثة به، خاصة حين تشتد به الام الفراق.

والجزيري في حديثه عن الهدهد، لايخرج في جميع قصائده عن الرمز المتعارف عليه لهذا الطائر وقصته الواردة في القران الكريم، وفي تراث الشعوب الاسلامية، كونه كان مبعوث الملك سليمان الى ملكة سبأ بلقيس.

والجزيري يتشبث، بالهدهد ليحمل رسالة مشابهة الى محبوبته، ويتمنى ان يعود اليه بالجواب البشرى.

فنراه وقد اشتد به العشق واحاط به الغرام، حتى اصبح مغرقا في التفكير والبحث عن طريق الوصال، لايشغله عن الاستغراق في حبه شاغل. كيف لا وجمال الحبيب يفوق جمال بلقيس، وابهته وعظمته لاتناظر بابهة او عظمة اخرى. يبحث الشاعر في من حوله، يستطلع الامور، فلا يجد من هو اقدر على حمل الرسالة من الهدهد وهو الرسول المجرب، فيعهد اليه بالمهمة لتقصي احوال الحبيب. فيقول

ئيرو ژمه ل‌به‌درا ته‌مام
عه‌نبه‌ر فه‌شان بن‌رسه‌د سه‌لام
ئه‌ی هودهودێ شیرین که‌لام
«اهلا وسهلا ومرحبا»
من دلبه‌رەك وەك دور هه‌یه
مه‌حبوبی شیرین سور هه‌یه
حوسن‌و جه‌مالەك پور هه‌یه
به‌لقیس صفه‌ت مه‌سكن سه‌با[٢٨].

والابيات تعني:

«عندنا اليوم
مائة سلام معطر بالعنبر
نبعثه لوجه هو تمام البدر
فيا أيها الهدهد الطيب اللسان
اهلا وسهلا ومرحبا.
لي حبيبة تشبه الدرة في جمالها
حلوة حسنها
انها مثل بلقيس في مسكنها
تسكن السبا.

القصيدة طويلة، وقد وظف فيها الشاعر قصة الهدهد مع الملك سليمان كاملة، كما وردت في القران الكريم. وقد تناولنا هذه القصيدة في مقال اخر لنا، ولاحاجة للعودة اليها ثانية[٢٩].

ومثلما استخدم الجزيري الهدهد في قصيدته السابقة، فانه لايخرج عن هذا المسار في جل قصائده، ويبقى الهدهد في شعره للاشارة اليه كرمز يحمل او يعود بالبشرى، حتى يمكن القول «لعل شخصية الهدهد في شعر الجزيري امتداد لشخصية هدهد النبي سليمان»[٣٠].

فالشاعر وقد بعث الهدهد في مهمة كتلك التي ارسلها النبي سليمان، ينتظر عودته في شوق ولهفة، ويتعقب اخباره، ويخرج كل ساعة ولحظة لاستقباله، عسى ان يعود وان يكون جواب الحبيب، أن نعم.

واذا كان الجواب بالايجاب، وان عاد الهدهد بالخبر السار، لايملك الشاعر مكافأة تليق بالرسول غير اهداء روحه إليه، رغم كونها عزيزة. فيقول:

پور مولازم تیم لقابێ
مامه حه‌تتا مولته‌قابێ
من رحی شیرین ددابێ
هودهود ئه‌ر مزگین ب‌دایه[٣١].

وتعني:

الازم الطريق دائما
وابقى انتظر لقاءه،
لو اعطاني الهدهد البشرى
لمنحته الروح العزيزة.

والشاعر حين يعلن عن هذه المكافأة، ويعبر عن غبطته بالجواب، فلانه لايقدر على الحياة، ان لم يسعفه الرسول الهدهد بحمل البشرى اليه. ذلك لانه يعيش بقلب ميت لاروح فيه. وبشرى موافقة الحبيب على حبه، تدب الحياة من جديد في القلب وتبعث فيه الروح. ومقابل ذلك لااحتياج له بروح اخرى. فيقول

هودهودێ رضوانێ غه‌یبێ
سه‌د خه‌به‌ر شیرین ژجه‌یبێ
دا دلێ من مورده حه‌یی بێ
گوه ل رێ من وەك صه‌بایه

ان الهدهد الآتي من رضوان الغيب
يحمل في جعبته
مائة خبر طيب وسار
فلكي يحيا القلب الميت من جديد
استرق السمع لطريق الصبا على هذا المنوال يتابع الجزيري أخبار الهدهد في اشعاره.
فيقول:

هودهوده‌ك خوش طه‌بع من ئیرو دفێ هه‌ر وەك نه‌سیم
دا ب‌بال دلبه‌ر هنارا، بانیا دیسا جه‌واب[٣٣].

اني لابغي اليوم
هدهدا ذا طبع جيد
ورقيق مثل النسيم
كي ابعثه صوب الحبيب
ويعود لي بالجواب

ومن تتبع قصائد الشاعر، يظهر ان الرسول قد وفق في المهمة الجليلة، وان الهدهد قد نجح في انجاز ماعهد اليه وعاد بالجواب اليقين. فهو خبير بمثل هذه المهمات، ألم يعد

بالجواب الى سليمان من قبل؟

والشاعر حين يتلقى الجواب الشافي والخبر السعيد، يتراءى وكأنه يمسح ظهر الهدهد بيد رقيقة وفيض محبة وحنان، ويعزف معها اعذب الحانه، شاديا في الغناء، راقصا له طربا. انها البشرى، من حبيب طالما اشتكى من فراقه وبكى من غربته. فيقول:

سەد هزار بار شاكرم ئەز كو زبەلقيسا پەرى
هودهودێ شيرين زەبان ئيرو خەبەردارێ مەيە.

اني لشاكر مائة الف مرة
من الهدهد الطيب اللسان،
والذي اوفاني اليوم
أخبار الحورية بلقيس.

والى غير ذلك من قصائد الجزيري التي لاتخرج عن هذه الصورة.

والبلابل نوع اخر من الطيور، يرد ذكرها بكثرة في ديوان الشاعر. وهو اي الشاعر كغيره من شعراء الشرق الاسلامي يكثر الحديث عن البلابل، في تغريدها وشجوها ونوحها.

وان كنا لانعرف بالضبط، معنى رمز طائر البلبل في لغة شعراء التصوف. الا ان اغلبهم – ومنهم الجزيري. اتخذ البلبل كمثال للمحب العاشق، الولهان الصادق.

واطربهم صوته الشجي والحانه العذبة ونواحه المؤثر. ونرى، انه ليس من المستبعد، ان الجزيري – وهو الذي يسكر من شجو البلابل لافتتانه بالموسيقى – قد اتخذ هذا الصوت الرنان للاشارة به او للتدليل عن طريقه على الطرب والغناء. وحسن السماع.

فالمعروف ان الصوفية يعللون السماع بما قاله السهروردي رحمه الله: «ومن ادلة السماع ماروي ان الله تعالى خاطب الذر في الميثاق الاول بقوله:

الست بربكم، واستفرغت عذوبة سماع ذلك الكلام، الارواح... فلذلك كانت تطرب وتتحرك كلما سمعت امرا مطربا، لانه يذكرها بالسماع الاول»[٣٤].

والجزيري – وهو الشاعر الصوفي بكل ماتحمله كلمة الصوفية من معنى ومدلول وسلوك – حين يورد الحديث عن البلابل وهي شادية تارة، وناٮحة باكية طورا، فعلى مانظن، ان غناءها تبعث فيه عذوبة سماع الكلام الاول، ألست بربكم. فأي امر مطرب عذب شاد كأمر غناء البلابل العاشقة للورود والسكارى بحبها؟.

والشاعر رغم، ان الاصوات العذبة الشجية، تبعث فيه عذوبة سماع الانشودة الاولى، ويرى فيها صورة من صور التجلي الالهي، الا انه في اغلب قصائده عن الطيور، وعلى رأي الدكتور الشاعر بدرخان السندي «يضع نفسه في صف الطيور الناٮحة، عندما يكون في محفل من طيور، تشدو وتنوح، اي انه يغلب او ينحاز الى الجانب الاكثر مأساوية في الافصاح عن حنينه الى الحبيب الاعلى»[٣٥].

ويمكن ان نضيف، وبالاحرى ان نفصح ونوضح، ان الجزيري يختار صفوف العشاق والمحبين الذين ينوحون ويستصرخون من فرط محبتهم الالهية، وينشدون هذه المحبة الجمة باكثر الوسائل عذابا للنفس، حتى يجردونها من كل شهواتها.

وبذا يقول الشاعر:

«ان البلابل سكرى
في السحر
من اريج الورود والبراعم
ونحن مثل طائري
التوتاك والگويين
نبعث باهات الفراق»[٣٧]

واذا كان الجزيري في هذا البيت، يحسد البلبل على نشوته وطربه، فانه في غيرها من الابيات، لايرى نفسه الا صورة عن بلبل معذب باك. فيقول:

غونچه لەبا ژەنك گولى
دێمێ بسور نوما مەلێ
شويهەتى بولبولان سەحەر
لەو مە فغانو نالەكر.

اي:

«صاحبة الشفة البرعمية
المصطبغة بلون الورود
اظهرت وجهها المليح (للملا)
فكان ان غدونا كالبلابل
في السحر
نطلق الاهات والانات»[٣٨]

وحين يستبد الشوق بالشاعر، فيبحث عن وجه الحبيب، ويهرع للقائه، عسى ان يسمع منه كلمة طيبة، او يظفر منه بنظرة باسمة، تشفي داءه وتعيد اليه اشراقته. فيسرع ينشد اللقاء. لكن يخيب ظنه. فهو اذ كان يأمل ان يجالس الحبيب النديم ويستمع اليه. لايرى في المكان المقصود غير الوجوه العابسة للحساد والرقباء ينظرون لمقدمه شزراً. وحالها لايملك الا ان يناظر حاله مع حالة البلبل اذ تمتلكه السعادة فيشجو وينشد وهو في الطريق الى الروضة للتنعم بأريجها وعبير ورودها ورغد ازهارها، لكنه يفاجأ بما ليس على البال، هاهي روضة الزمان، وقد ذبلت ورودها، لتنبت الاشواك مكانها.

فلا يكون بوسع اي منها البلبل والشاعر الا النحيب، ولايقدر احدهما الا مع اطلاق الزفرات والاهات.

وعن ذلك يقول الشاعر:

كو ڤان لەطيڤان گولعذار
شونا گولان رستينە خار
لەو تێن ز بولبول ئاهو زار
نيڤا جهى گولزارى چەرخ[٣٩]

والابيات تعني:

اين اللطيفات المتوردة الخدود؟
قد نبتت الاشواك مكان الاوراد
لذا يطلق البلبل اها وصياحا
وسط روضة الزمان.

في قصيدة اخرى للشاعر، صورة لبلبل عاشق، جروحه رقيقة لاتتحمل الايذاء والعذاب. تماما مثل قلب الشاعر يكفيه اقل فراق لتعذيبه:

يقول الجزيري:

بولبولێ مەجروحێ عشقێ تاقەتا خاران نەهن
دێ کولاڤا ریشێ سینە بشکووەك بێ خار بت[٤٢]

وتعني:

ن البلبل الذي..
يكون جريح العشق
لايقدر على خرش الاشواك
يكفي جرح صدره مخلبا
برعمة من غير شوك.

فالقلب الذي اختبر العشق وضع في ثناياه كل اهواله ومصائبه. قد اصبح رقيقا جدا لاطاقة له بتحمل الفراق الطويل من الحبيب. لان هذا الفراق والبعد يشبه لاشواك الخشنة في القلب العاشق.

لا. ليس لمثل هذا القلب. ان يتحمل هذا العذاب. لانه حتى الفراق البسيط او لحظة جفوة تكفي ان تكون ايلاما شديدا للقلب. وعذابها لايقل عن عذاب المخالب حين تنشب في جرح الفؤاد.

يتحدث الاستاذ – هەژار – عن هذا البيت للشاعر فيقول. انه يذكرنا بقصة او حدث جرى للصوفي المشهور منصور الحلاج. حيث كان الناس يرمونه بالاحجار ويقذفونه بالسهام. وهو صامت ساكت.

وحينما ضربه صاحبه ورفيق دربه الجنيد البغدادي. ببرعم وردة. استصرخ واشتكى. فقيل له. لاتصرخ للسهام فكيف تئن من ضرب وردة؟ قال: ان ضربة صديق بوردة شد ايلاما بألف مرة من سيوف وسهام عامة الناس من الجهلاء[٤١].

لانترك الحديث عن البلبل عند الجزيري الا بايراد بيت اخر من ديوانه. يوضح جانبا مهما من فلسفته. اذ يقول:

گەر چ بولبول جەوهەر زاتێ گولە
لێ گولێ رەونەق ژعەشقا بولبولە[٤٢].

وتعني: وان كانت الوردة جوهر
ذات البلبل
لكن حسن شذى الوردة
من عشق البلبل.

فالشاعر يريد ان يقول. انه وان حقيقة وجود البلبل وترانيمه. مستمدة من حبه للوردة. فان ماجعل الوردة عطرة فواحة. هو عشق البلبل لها.

ولنا ان نتساءل. هل ان الجزيري يعني. أن. وان كان المحبوب سببا لتواجد وحياة المحبين. فان علوه وعظمته وابهته تنبع من محبة المحبين؟.

ونترك الحديث عن البلابل والورود والاشواك في شعر الجزيري. بايراد ابيات للشاعر الصوفي الشهير جلال الدين الرومي عن بلبل يقول فيه: «فما اعجب هذا البلبل الذي يفتح فمه، ليأكل الشوك مع الورد، ولكن اي بلبل هذا؟ انه عملاق ناري! ومن العشق اصبح كل مر في فمه حلو المذاق»[٤٣].

من الطيور الاخرى، التي افرد لها الجزيري عددا من ابيات شعره، طائر يسمى بـ «هوما» وهو «طائر يشبه الشاهين، ضخم الجثة، يتغذى على العظام. وكان القدماء يقدسون هذا الطائر، ويعتقدون ان ظلاله ان اصابت اي انسان، سينال السعادة ويكون محظوظا، وانه مثل الحظ والسعادة».

تحدث الشاعر عن طائر – هوما – ولم يخرج في صوره واستعاراته عن المعنى الذي كان يعتقد به القدماء.

فهو يقول:

تەیغون دەدەستێ تە زەهی دەولەتو ئیقبال
هەر چ تە بڕە دامێ دتورا خوە هوما گرت[٤٥].

ويعني:

ان الطغان في يدك
زاهية الحظ والاقبال
فكل من اوقعته في الشرك
يكون قد اصطاد الهما
في شبكته.

واصطياد – هوما – كما اوضحنا انفا من دلائل نيل السعادة وجلب الحظ. وقد يكون هذا الطائر هو المسمى بطائر السعد في اللغة العربية. لكن هناك طائر اخر يشبه – الهما – في بعض صفاته ويسمى كاسر العظام.

وقد اخترنا هذا البيت لسببين رئيسين. اولهما ان جميع شراح ديوان الجزيري لم يوفقوا في ترجمة طائر (تەیغون) وان اغلبهم بسبب ذلك. ابتعد عن المعنى الحقيقي لهذا البيت من ديوان الجزيري. وهذا هو السبب الثاني فالاستاذ – هەژار – يترجم الطائر (تەیغون) بقوله بالنص «يظهر انه طائر صحراوي يصيد. ولكني لم اعثر عليه في القواميس. واني لاظن انه الطيهوج»[٤٦]. اي ان الاستاذ هەژار يظن انه الطائر المسمى (سويسكه) في اللغة الكردية.

وكذلك يذهب الاستاذ الفاضل أمين النقشبندي الى نفس الرأي فيترجم الـ (تەیغوان) بـ سويسكه – الطيهوج[٤٧].

ولذلك ابتعد كلا الاستاذين الفاضلين عن جانب من تفسير البيت. وأقرب الشراح الى الحقيقة هو المرحوم ملا احمد الزفنكي فيقول عن هذا الطائر بأنه «محرف من كلمة طوغان. الفارسية ويعني الصقر الملكي»[٤٨].

ولايمكن ان يكون الطائر المسمى عند الجزيري بـ (تەیغون) هو الابلق او الطيهوج. ذلك لان الجزيري يورده كطائر صيد. وهذا الطائر الاخير لايصيد.

وللشاعر الجزيري اشعار اخرى تؤكد ان (تەیغون) هو طائر صيد. ومنها هذا البيت:

همر دلێ بازی صفەت دێ صەیدێ تەیغونەك
وەبی فرو پەروازێ هومایی پەنجەیی شونقار بت.[٤٩]

ويعني: ان كل قلب
وان كان مثل الباز في صفاته
سيقع لطائركم (الطغان).
فهما طار ونزل – الها –
سيكون في قبضة السنقر.
وله ايضا:

چ تەیغون بو دپەروازی
وە شیرین دامە بەر پەنجان
دڕەمزا سحرو ئیعجازێ
برم ڕێزا گوهمر سەنجان[٥٠].

وتعني:

اي (تەیغون) كان،
في طيرانه؟
هكذا بحلاوة، انشب مخالبه
في جسدي.
واوصلني برموز السحر والاعجاز
الى مرتبة، ذوات وزن الجواهر.

البيت يوضح ان الشاعر، استخدم الطائر المسمى (تەیغون) الطغان، بصفته طائرا جارحا اكثر قوة ومقدرة من طائر الباز، ذلك لان القلب الشبيه بالباز، يضعه الجزيري فريسة هذا الطائر، الذي لايمكن ان يكون الطيهوج.

وفي الابيات الاخيرة ايضا، يفهم من ترجمتها، ان لهذا الطائر مخالب واظافر وانه من فصيلة الكواسر.

اما بشأن ترجمة الزفنكى للطائر كونه «الصقر الملكي ومحرف عن كلمة طوغان الفارسية» فنقول انه لايعني الصقر الملكي، وان (تەیغون) محرف من كلمة (طغان) التركية وليست الفارسية. حيث ان (الطغان) في التركية تقابل طائر الباز الابيض او الشاهين والشهباز في الفارسية. وطغان كان اسم احد ملوك الترك ايضا[٥١]. وبهذا يكون الشاعر قد اراد به طائر الباز الابيض وهو اقوى انواع الباز أو الشاهين. نعود الى توظيف الجزيري لطائر (الها). فنقول انه اورده بالشكل او على الصورة التي رسمت له، في المعتقدات الشعبية. كونه طائر حظ وسعادة. فيقول:

سایە نومایە جەبەهتێ
نەقشو خەطی ژ قودرەتێ
نوقطە ئو حەرفو جەزمەتێ
بالو پەڕێن هومای زولف[٥٢].

ان زلوف الحبيبة
هي اجنحة الها
قد اظلت بظلالها، جبهة الحبيبة
بما عليها، وعلى خدودها
من شامات ونقوش
هبة القدرة الالهية.

يتابع الجزيري، قصيدته فيقول:

بالو پەرین صفەت هوما
سایە لـجەبهەتێ نوما
خەمری ولەف چونە سەما
یەك ب یەك ئەو لبای زولف

وتعني:
ان الاجنحة التي تشبه
طائر الها،
قد اظلت الجبهة.
وعلى نغم اهتزاز زلوف الحبيبة
رقصت العصائب الخمرية وعذباتها
واحدة فواحدة.

والشاعر هنا يورد تشبيها لطيفا، فهو يرى في زلوف الحبيبة وخصلات شعرها، حين تضرب بظلالها وجه المحبوب، اجنحة لطائر الها، تجلب السعادة والمرح حتى تطرب لها عصابة الجبهة الخمرية اللون.

في قصيدة اخرى، يعلن الجزيري شوقه العارم للوصال. ويمزج بين حبه الصوفي مع ما تواردت عن، السعادة في لقاء طائر الها. فيقول:

بـئومیدا تە هـمایی، نە مەلێ تور قەدا
وەر تەماشای جهان، بویە هەمی تورو شەبەك[٥٣].

ويعني: ليس (الملا) هو الوحيد
الذي يرجو من نصب شبكته
اصطياد الها.
تعال وانظر..
قد اصبح العالم كله
اشراكا واشباكا.

فالملا، ليس الوحيد الذي يرجو الوصال، انما يشاركه في ذلك الخلق كله.

ونختتم مقالنا عن الطيور في شعر الجزيري، بتناول طائر اخر وظفه الجزيري في عددٍ من ابيات ديوانه الثري. وهذا الطائر هو الذي يسميه الشاعر بـ (شنقار) والذي يعني طائر السنقر في اللغة العربية.

وهنا ايضا، حينما اقول، ان الافاضل شراح ديوان الجزيري. لم يتوصلوا الى المعنى الصحيح لطائر (الشنقار)، فلا أخال ان أحداً يظن، اني أبغي توجيه مايشبه الانتقاد الى اعمال هؤلاء الشراح القديرة. حيث ان عدم ترجمتهم لاسم طائر أو اكثر بالشكل الصحيح، لايشكل مسألة توجب الانتقاد. هذا مع تأكيدنا بأنه ما من عمل – مهما عظمَ – بمنأى من النقر، وفي محصن من الخطأ والوهم والنقص.

اعود، فأقول ان الملا احمد الزفنكي – رحمه الله – قد اورد في مؤلفه – العقد الجوهري في شرح ديوان الجزري – ثلاثة معانٍ مختلفة لطائر – الشنقار – في ثلاثة اماكن متفرقة فهو يذكر في مكان ان – الشنقار هو طائر مائي. وفي مكان اخر يقول ان الشنقار اسم طائر من الجوارح. وفي ثالث يترجمه بأنه: اسم طائر يصاد به ولعله الصقر[٥٤].

فيما يذكر الاستاذ – هەژار – ذات مرة، ان الشنقار طائر يشبه الباز، ولكنه اكبر واقوى من الباز واكثر خبرة منه في الصيد. وذات مرة يقول، الشنقار نوع من الباز ذو مخالب حادة وقوية، وفي ثالثة يذهب الى ان الشنقار هو الشمقار[٥٥]. والاستاذ هژار مصيب في رأيه. لحد ما. وماعدا، الافاضل شراح ديوان الجزيري. فقد وقع الاديب عبد الرحمن المزوري في خطأٍ، عند ترجمته لقصيدة من ديوان الشاعر ورد فيها الشنقار، فهو يقول عن هذا الطائر «الشنقار: طير خرافي كالسيمرخ، يعتبر رئيسا للطيور في الاساطير الكردية ويلفظ بـ (شُمقار) ايضا»[٥٦]. والحقيقة غير كل ذلك، فالشنقار ليس بطائر الصقر والا هو بطائر خرافي، انما هو طائر مائي ولا بطائر حقيقي ومن اجمل الطيور، ويسمى السنقر في اللغة العربية. وليس من البعيد ان تكون السنقر كلمة معربة من الشنقار وهو «طائر من الجوارح، اعظم من الصقر، واجمل منه صورة يؤتى به من البلاد الشمالية لذلك سموا السناقر احيانا بالشواهين البحرية لانه كان يؤتى بها عن طريق البحر»[٥٧] وقد وصفه البعض:

«سنقر، طائر من جوارح الطير، في حجم الشاهين الا ان رجليه غليظتان جدا..»[٥٨] وقيل عنه «الشنقار معرب شنغر، وهو طائر من جنس الصقر ويصيد، ويعمر زمنا طويلا، ولايوجد الا في نواحي الصين، ومقبول كثيرا عند الملوك وهم يهدونه بعضهم بعضا، وكان ثمنه في ذلك الوقت الف دينار الى خمسمائة، ولم يكن يخرج الا على سبيل الهدية للملوك»[٥٩].

والشنقار يسمى في الانكليزية گارفالكون Gar Falcon.

وفي الفارسية يلفظ بـ شنغار[٦٠].

وفي التركية يسمى طوغرول[٦١].

وترجمه المرحوم علاء الدين السجادي الى شنغار وشنقار في الفارسية والسنقر في العربية[٦٢].

والان، نرى صورة السنقر، التي رسمها الجزيري.

لقد مر بنا في الصفحات السابقة هذا البيت من ديوان الجزيري:

هەر دلێ بازی(صەفەت)دێ(صەیدێ)تەیخونەك وەیی
رو پەروازێ هومای پەنجەیی شونقار بیت.

ورأينا ترجمة البيت ايضا.

فالشاعر يعرف طائر السنقر بدقة، ذلك كونه طائرا يهدى للملوك ومقبول عندهم. فهو يؤكد ان اي طائر حتى وان كان – الما – سيقع في قبضة السنقر. وكدليل آخر على ان السنقر، طائر صيد نال اعجاب الملوك والامراء. يخاطب الجزيري أميره الكردي قائلا:

شاهباز ئەر چەند پەروازی بباڵا بێتو رەت
دێ دنیف تورا تەبیتو صەیدێ شونقارێ تەیی[٦٣].

ومعناه: ان الباز الابيض
مهما طار عاليا..
وكيفما اتى وذهب.
سيقع وسط شراكك..
ويصيده طائركم السنقر[٦٤].

ويبغي الجزيري من هذا البيت ان يقول لأميره. ان لااحد يستطيع الخروج عن طاعته. وان القواد والابطال مهما بلغت بهم الشجاعة والنفوذ والقوة، لايكون لهم الا الرضوخ لمشيئة الامير. فالباز الابيض وان طار وهبط، لن ينفذ من مخالب السنقر.

للشاعر ابيات أخرى تتحدث عن السنقر ومنها:

بیرا خوە ئینین غەمەجدیان
عاشق دنیف ئەشکەنجدیان
ناڤێتە دل بەر پەنجەیان.
هەر دەم ژنو شونقاری چەرخ[٦٥].

اي:
ان العشاق...
حين يتلقون العذاب
يتذكرون الطاف الحبيب
مثل سنقر الزمان
حين يعاود صيده، ينشب فيه
المخالب من جديد.

فالشاعر يضرب مثلا، بما يعانيه المحب من عذاب قاس، مع عذاب الطائر الذي يصيده السنقر. فكما قدر للطيور ان تتعذب من جراحها، حين يصبح السنقر لها بمثابة القضاء. كذلك قدر للمحب ان يتعذب ويتلوى وهو ينظر الى حسن المحبوب وجماله.

وكما ان لا ارادة لهذه الطيور ولا نجاة لها من السنقر، فكذلك يفقد العاشق ارادته، ويضع أمره بيد المعشوق. فيتلذذ حتى بالعذاب. مادام يتذكر حسن ولطف الحبيب.

الهوامش والمصادر:

١. د. عز الدين مصطفى رسول – احمدي خاني شاعرا ومفكرا – بغداد ١٩٧٩ – ص ٨٩
٢. امين شيخ علاء الدين نقشبندي – ماهو التصوف – بغداد ١٩٨٥ ص ٤٦٩.
٣. هزار – ديوان المتصوف شيخ احمد الجزيري – ص ١١ من المقدمة.
٤. د.بدرخان السندي – من مقالة له في مجلة كاروان العدد (٧).
٥ و ٦. الدكتورة سعاد الحكيم – المعجم الصوفي – الطبعة الاولى بيروت ١٩٨١ ص ٧٤٢ و ١٢٠٧.
٧. يعتبر جلال الدين الرومي البغاء من الطيور الروحية ايضا.
٨. اورد الشاعر الاسم العربي لهذا الطائر على طريقة شعراء ايران.
٩. من قصيدة مطلعها (قەلبیمه شوبهی زێری..).
١٠. ديوان حافظ – شركة نسبي اقبال وشركاه – ص ٢٦٨.
١١. من قصيدة (مەحبوب ب دل بت..).
١٢. قاموس عميد الطبعة الثالثة ١٣٦٠ الجزء الثاني ص ١٤٤٣.
١٣. الفريق امين المعلوف – معجم الحيوان بيروت، دار الرائد العربي ص – ٩٢.
١٤. من قصيدة «من ددل كوڤان هزارن..».
١٥. من قصيدة «عاشق ئەر جارەك..».
١٦. شهباز أو شاهباز، يعني الباز الابيض. بهذا المعنى، انظر قاموس العميد. المصدر السابق ص ١٢٨٠. وكذلك ورد في العقد الجوهري في شرح ديوان الجزري للمرحوم الملا احمد الزفنكي ص ٢٦٦.

١٧. الشاهين طائر من طيور الصيد يشبه العقاب في بعض صفاته، يعيش في اعالي الجبال، كما ان طيرانه عالٍ. ذو اجنحة قوية صفراء اللون، ويضع بيوضه في الصخور المنيعة.
١٨. من قصيدة «قەلبی مه شوبهی زێر...».
١٩. ديوان حافظ المصدر السابق ص ١٣٠.
٢٠. (فيروز بو اسحاق) نوع من الاحجار الكريمة ذو ثمن غالٍ. يستخرج في نواحي نيشابور، وهو سهوي اللون. ويستخدم غالبا في صنع الخواتم. ينظر قاموس العميد المصدر السابق ص ١٥٥٨.
٢١. من قصيدة «ئیرو ژهكاسا سورى..».
٢٢. د. سعاد الحكيم – المصدر السابق – ص ١٠٣١.
٢٣. جهد من الملا محمد الزفنكي – العقد الجوهري في شرح ديوان الجزري – الجزء الاول – مطبعة [illegible] ١٩٥٨ ص ٣٥٢.
٢٤. هزار – المصدر السابق – ص ٣١٤.
٢٥. من قصيدة «من ددل كوڤان هزارن..».
٢٦. الزفنكي – المصدر السابق – ص ٨٣.
٢٧. هزار – المصدر السابق – ص ٨٤ – ٨٥.
٢٨. من قصيدة «چين چين كرن زولفێن سيا..».
٢٩. نشر النقل في مجلة كاروان العدد ٣٩ وبعنوان الغزل الصوفي عند الملا الجزيري.
٣٠. د. بدرخان السندي – مقاله المذكور في مجلة كاروان.
٣١. من قصيدة (موجبەتێ محنەت دزورن..).
٣٢. من القصيدة اعلاه.
٣٣. من قصيدة (من ددل كوڤان هزارن..).
٣٤. الامام عبد الوهاب الشعراني – الانوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية جزء ١ – ٢ ص ١٧٨.
٣٥. نفس المقال المشار اليه.
٣٦. من قصيدة «بـنارێ فرقەتێ سوهتم...».
٣٧ و ٣٨. ترجمة الابيات الاربعة للدكتور بدرخان السندي.
٣٩. من قصيدة «ئاهی زدردی دل..».
٤٠. من قصيدة «گەر ژوێ حورسورشتێ..».
٤١. هەزار – المصدر السابق ص ١١١.
٤٢. من قصيدة «گەر ج بولبول...».
٤٣. الدكتور محمد عبد السلام كفافي – مثنوي جلال الدين الرومي بيروت ١٩٦٦ الجزء الاول ص ٢٢١.

٤٤. قاموس عميد ص ١٩٧٥ من الجزء الثاني.
٤٥. من قصيدة «قەلبیمه شوبهی زێر..».
٤٦. هزار المصدر السابق ص ١١٧.
٤٧. امين علاء الدين النقشبندي – المصدر السابق. ص ٤٧٤.
٤٨. الزفنكي المصدر السابق ص ١٠٨.
٤٩. من قصيدة «گەر ژوێ حور سروشتێ..».
٥٠. من قصيدة محاورة الجزيري مع الامير عماد الدين.
٥١. قاموس العميد ص ١٤٠٠.
٥٢. من قصيدة «سەرددەت ئافێ كەوسەرێ..».
٥٣. من قصيدة «نازكەك من سەحەرێ دى...».
٥٤. الزفنكي – المصدر السابق – الصفحات ١٠٨ و ١٩٩ و ٦٥٦.
٥٥. هەژار – المصدر السابق – الصفحات ١١١، ١٩٤، ٥١٣.
٥٦. ترجمة القصيدة منشورة في مجلة كاروان العدد ٢٥. وترجمة الطائر جاء في الهامش (١٧).
٥٧. الفريق امين المعلوف – المصدر السابق ص ١٠٥.
٥٨. المصدر نفسه ص ١١٤. علما بأن هذا المصدر اي معجم الحيوان يحوي على صورة جميلة لهذا الطائر في المقدمة.

٥٩. المصدر نفسه ص ١١٤.
٦٠. قاموس العميد ص ١٢٣٧ و ١٣٢٦.
٦١. عبد اللطيف بندر اوغلو المعجم التركي العربي الجزء ٤ ص ٣٥٧.
٦٢. المرحوم علاء الدين السجادي – دەستورو فەرهەنگی زمانی كوردی عەرەبی فارسی. قواعد وقاموس اللغات الكردية والعربية والفارسية ص ١٢٠.
٦٣. من قصيدة (ئەی شەهنشاهی موعەززەم..).
٦٤. ان طائر الـ (شاهباز) يعني الباز الابيض كما ورد في قاموس عميد، وكما ترجمه الاستاذ – هەژار. اما الزفنكي فقد ترجم هذا الطائر بـ (الصقر الملوكي) ونقل الاديب عبد الرحمن المزوري، هذا الخطأ في ترجمة شاهباز عن الزفنكي، في ترجمته لقصيدة الجزيري المشار اليها في مكان اخر من هذا المقال.
ويجب ان نذكر ان كل كلمة مبتدأة بـ (شاه) لاتعني في الفارسية وبالضرورة صفة الملوكية او العظمة بل قد تعني الصغر. فكلمة او اسم (شاهماهی) تطلق على نوع من الاسماك الصغيرة. واسم (شاهداماد) لايطلق على صهر الملك مثلا وانما يعني (العريس) وترجمة الـ (شاهباز) بالصقر الملوكي في البيت المذكور أفقد معناه ومبناه الى حد كبير. ذلك لأن المقصود من البيت هو ان السنقر طائر ملوكي كما رأينا، ويظهر ان الجزيري وهذا ماعهدنا به على اطلاع تام بأوضاع زمانه.
٦٥. من قصيدة (ئاهێ ژدەردێ دل دكەت...).